البصائر والذخائر

لأبي حيان التوحيدي

علي بن محمد بن العباس (- ٤١٤هـ)

تحقيق

الدكتورة وداد القاضي

الجزء الأول

دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى

البصائر والذخائر

١

مقدمة التحقيق

كان الإقدام على تحقيق كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي أمنية من أمانيّ منذ أن كنت في مرحلة الطلب بالجامعة ، وذلك لما كنت أجده من عسر في فهم بعض مقاطع هذا الكتاب ، وفي التحقق من الأعلام المذكورين فيه ، وفي التيقن من معاني الكلمات المشروحة لغوياً منه ؛ وكان يبدو لي أن أبا حيان نفسه لم يكن ليترك عمله ناقصاً يشيع فيه الخطأ والوهم بشكل كثيف فاضح ، وأن الخلل الموجود في الكتاب ناتج – بالتالي – عن تقصيرٍ في طبيعة النسخ التي اعتُمِدَتْ في تحقيقه ، وفي مدى العناية التي بُذِلت في إخراجه مطبوعاً للقراء والدارسين .

ولقد صدق ظنّي فيمَا ذهبت إليه ، إذ ما إن تمكّنتُ من جمع عدد لا بأس به من مخطوطات هذا الكتاب ، حتى بدأ النص يتّضح ، وينتني منه كثير مما علق به من الإيهام ، وينجلي معظم ما فيه على نحو أقرب إلى الصحة والاستقامة . إذ ذاك انعقد العزم على نشر هذا الكتاب كاملاً ، بحيث يجيء في صورة مُرْضية ، تكفل له ظهوره على الصورة التي أرادها أبو حيان أو على صورةٍ مقاربة لها .

وقد كان اعتمادي في تحقيقه على المخطوطات التالية :

١ – نسخة مكتبة الفاتح باستانبول ، من رقم ٣٦٩٥ إلى رقم ٣٦٩٩ ، ورمزها (ح) ، وهي تتألف من خمسة أجزاء هي الأجزاء الخمسة الأولى من البصائر في هذه الطبعة ، مسطرتها ١٨ × ١٨ سم ، ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٤ سطراً ، وهي مكتوبة بخط نسخي كثير التعليق قليل الإعجام ، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة كبيرة في قراءتها في كثير من الأحيان ، ولكنها مع ذلك حسنة الضبط جيدته ، ويبدو أن ناسخها من العلماء ، ويدل ما ذُيِّل به كل جزء منها أنها نسخت بين سنتي ٦٢٨ و ٦٢٩ .

٢ – نسخة مكتبة جار الله باستانبول ، رقم ١٦٤٧ ، ورمزها (ل) ، وهي مؤلفة من جزئين هما الجزء السادس والجزء التاسع من هذه الطبعة ، مسطرتها ٢٠ × ١٧ سم ، ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٥ سطراً ، وهي مكتوبة بخط نسخي واضح معجم في معظم حروفه ، كما أنها نسخة جيدة الضبط ، ويدل ما جاء في آخرها على أنها نسخت سنة ٦٠٣ ، كما جاء هناك « تمّ كتاب البصائر والذخائر » .

٣ – نسخة مكتبة الأمبروزيانا في ميلانو ، رقم ١٥ (في فهرس جريفّيني) وفي ١ : ١٣٩ ، رقم ١٥ ، الفصل ٦ G ، الأوراق ٢ – ١٣٢ (في فهرس لوفجرن – كراين) ، ورمزها (م) ، وهي أيضاً مؤلفة من جزئين ، هما باعتبار ناسخها الجزآن الخامس والسادس ، وباعتباري في نشرتي هذه الجزآن الرابع والسابع ، إلا أن الجزء السابع منها فيه سقط من أوله يمتد لعدد غير قليل من الأوراق ، ولذلك لا تبدأ النسخة إلا في منتصف الفقرة رقم : ١٣٢ منه ، ويجيء بعد ذلك خرم طويل ذهبت به الفقرات : ١٥٣ – ١٨٠ . ومسطرة هذه المخطوطة ١٥ × ٢١ سم ، ومعدل عدد الأسطر في

الصفحة الواحدة ٢٢ سطراً ، وهي مكتوبة بخط واضح جميل معجم في أكثر المواطن ، وهي حسنة الضبط ، وتحتوي على زيادات لم ترد في بعض المخطوطات الأخرى ، وقد تمّ نسخها سنة ٦٥٤ .

٤ – نسخة مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر ، رقم ٧٧٦ ، ورمزها (ر) ، وهي تشمل الجزئين الأول والثاني ، إلا أنها ناقصة من آخرها ، وتتوقف عند الفقرة رقم : ٧٠٥ من الجزء الثاني ، ويدل ما جاء في آخر الجزء الأول منها أن نسخها تم سنة ٦٠٢ . مسطرة هذه المخطوطة ١٧ × ١٤ سم ، ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ٢١ سطراً ، وهي مكتوبة بخط دقيق جميل ، وناسخها اسمه علي بن المؤمل .

٥ – نسخة مكتبة جامعة كيمبردج ، رقم ١٣٤ ، ورمزها (ك) ، وهي تحتوي على الجزئين الأول والثاني من البصائر ، غير أنها تتوقف قبل تمام الجزء الثاني ، عند الفقرة رقم : ٦٩٤ منه ، وناسخها اسمه يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوي ، وقد نسخها في سنة ١١١٧ ، ومسطرتها ١٢ × ٢١ سم ، ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً ، ولا بأس بها من ناحية الضبط ، وإن كان التحريف والسقط فيها غير قليل .

٦ – نسخة مكتبة كوبريللي باستانبول ، رقم ١٢٣٤ ، ورمزها (ص) ، وهي تحتوي على الجزء السابع من هذه النشرة ، وهو جزء كنت قد نشرته مستقلاً من قبل[1] ، إلا أن وجود نسخة أخرى منه (هي نسخة الأمبروزيانا) قد غيّر معالم هذا الجزء وزاد فيه زيادات غير قليلة . ونسخة

....

١ البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي – الجزء السابع – الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس : ١٩٧٨ .

كوبريللي كما وصفتها من قبل متوسطة الضبط قليلة الإعجام ، وهي مبتورة الأول ، إلا أن ما سقط منها لا يتجاوز الصفحة الواحدة فيما أتصور[1] ، ومسطرتها ١٨ × ١٢ سم ، ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٥ سطراً ، وقد تم نسخها في سنة ٥٩٧ ، فهي من ثمّ أقدم ما لدينا من نسخ البصائر .

هذا وقد كنت أتمنى أن أحصل على نسخة رامبور الهندية التي ذكرها بروكلمان في تاريخه[2] ، وقمت من أجل ذلك بإجراء غير اتصال مع الجهات المختصة ، غير أنني لم أوفق في الحصول عليها حتى الآن .

ولقد كانت كبرى المشكلات التي واجهتني في تحقيق هذا الكتاب – بعد إقامة نصه – هو تجزئته ، والمعلوم أن الكتاب مؤلف من عشرة أجزاء ، كما يقول ياقوت الحموي[3] ، والمتوفر لدي من مخطوطاته تسع . أما الجزآن الأول والثاني فلا إشكال في أنهما يكوّنان الجزئين الأولين منه ، باتفاق المخطوطات جميعها على ذلك ، ولعل الثالث أيضاً هو ثالث الأجزاء بتقسيم أبي حيان ، أما ما يلي ذلك من أجزاء فقد جاء ترتيبها في هذه النشرة ترتيباً اعتبارياً ، فقد اعتبرت رابعها وخامسها الجزئين الرابع والخامس بحسب ترتيب مخطوطة الفاتح (المحتوية على أجزاء خمسة كما ذكرت سابقاً) ، ولمّا كنت قد قدّرت أن الجزء الموجود في مخطوطة كوبريللي (والأمبروزيانا الأول) هو الجزء السابع فقد اعتبرت الجزء السادس أول جزئي مخطوطة جار الله ، والجزئين الباقيين الثامن والتاسع على التوالي .

....

١ انظر المصدر السابق : ٧ – ١٢ و ٦٥ (والحاشية رقم ١) .
٢ G A L, Suppl. I, 436
٣ معجم الأدباء ٥ : ٣٨٢ ؛ وانظر كلامي عن صعوبة التعرف إلى اجزاء الكتاب في مقدمة الجزء السابع .

ولقد كان من الممكن الإفادة في تجزئة البصائر من بعض ما جاء لدى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، إذ ذكر في موطنين الجزء الذي ينقل عنه من البصائر ، فقال في ١١ : ١١٧ « قد وقفت لأبي حيان التوحيدي في كتاب البصائر على نص عجيب . . . قال في **الجزء الخامس** من هذا الكتاب . . . » ، وقال في ١٢ : ٢٤١ بعد خبر يتعلق بدرء للحدّ قام به علي ابن أبي طالب « ذكر هذا الخبر أبو حيان في كتاب البصائر ، في **الجزء السادس** منه » . فأما الخبر الأول فإنه ورد لديّ في **الجزء السابع** (الفقرة : ٢٠٩) ، وأما الثاني فإنه جاء في **الجزء الرابع** (الفقرة : ٤٩٦) . غير أن ما منعني من الأخذ بتجزئة ابن أبي الحديد ندرة ما أورده من معلومات في هذا الصدد ، وعدم تيقني من أن ابن أبي الحديد كان ينقل عن نسخة كاملة من البصائر تحتفظ بالتجزئة التي اعتمدها التوحيدي نفسه لكتابه . ولقد حاولت – تطلباً لحلِّ مشكلة التجزئة – أن أراقب إحالات أبي حيان في داخل الكتاب نفسه ، فوفقت في ذلك على وجه العموم ، وإن ظل الجزء السادس يحمل مشكلة عسيراً حلها ، إذ جاء فيه (الفقرة : ٥٧١) « أريد أن أسوق ها هنا فصلاً في الطب تباعد عن بابه في **الجزء التاسع** . . . » ، فهذا الكلام قد يشير إلى أن الجزء السادس هو في الحقيقة العاشر (والأخير) ، وهذا أمر قد يؤكده شرح أبي حيان لمثنيات متعددة (الأسودان ، الأبيضان . . .) في هذا الجزء السادس (الفقرة : ٥٨٨) ، فيما هو قد أتى على ذكرها دون شرح في ما عددته الجزء التاسع (الفقرة : ٧١٣) ، وهو أمر على عكس المتوقع . ولكن كل هذه الأمور تظل في حيّز الترجيح ، وهي – لقلّتها – لا تعطي دلالة قاطعة على تجزئة البصائر الدقيقة ، وتجعل هذه الدلالة متوقفة على اكتشافنا لنسخ أخرى من البصائر فيما أظن . على أنني – إسعافاً للمحقّقين بعدي – قد أشرت في حواشي الكتاب إلى النتائج التي تفترضها نصوص ابن أبي الحديد حيثما وردت مُبينةً عن الجزء ، كما تتبعت أقوال أبي حيان في الإحالات على أجزاء سابقة أو أخرى

لاحقة ، وأشرت في الحواشي إلى ما قد تشير إليه من فوائد في تجزئة الكتاب .

ولما كانت طبيعة الكتاب قائمة على «الخبر» فقد حداني ذلك إلى إفراد كل فقرة تحمل « خبراً » برقم مميّز ، إلا حيث تأتي فقرات عدة منه متعلقة بخبر واحد أو فكرة واحدة ، فإنني قد قمت بإعطاء الفقرات رقماً واحداً مع إضافة ب أو ج أو د . . . عليها ، وهذا أمر قد لجأت إليه في أحيان قليلة أيضاً عندما كنت أجد أن سهواً ما قد حدث في الترقيم .

كذلك كان هذا الأمر حافزاً لي على خدمة الكتاب بما يستحقه من مقارنات فصرفت جلّ جهدي إلى تخريج الأخبار والأشعار والأقوال من المصادر المتوفرة لدي ، مطبوعةً كانت أو مخطوطة ، سابقةً عليه أو ناقلة عنه ، مستقصيةً في ذلك أشد الاستقصاء ، فكان هذا مسعفاً لي على تدقيق النص من ناحية ، ومفيداً في تتبع نقول المتأخرين عن السابقين من مؤلفي كتب الأدب من ناحية أخرى ، وهذا أمر سوف أعود إليه بشكل تفصيلي في الدراسة التي أنوي القيام بها عن البصائر . ولقد حاولت في الوقت نفسه أن أربط بين أجزاء الكتاب – على تباعد ما بينها – حيثما يجيء قول مكرر أو خبر معاد أو شعر مذكور غير مرة . ولقد خصصت للتخريج الحاشية العليا من الصفحة ، فيما جعلت الحاشية السفلى مخصصة لفروق القراءات وللتعليقات العارضة .

ورغم أن الكتاب ليس كتاباً في التراجم ، فقد رأيت من المفيد أن أعرّف بالأعلام الذين يرد ذكرهم فيه ، وقد وفقت في ذلك في أماكن متعددة كثيرة ، غير أنني أخفقت أيضاً في أماكن متعددة كثيرة ، وذلك لأسباب عديدة ، منها ما يتعلق بانبهام من يتحدث أبو حيان عنه أو ينقل خبره ، ومنها ما يرجع إلى أن هؤلاء من طبقات وفئات لا تهتم كتب التراجم بها كثيراً ، ومنها ما يتصل ببعض المغمورين من معاصري أبي حيان ، ومنها أيضاً ما له علاقة

باختلاف القراءات فيما بين المخطوطات للاسم الواحد . ولقد حاولت في بعض الأحيان أن أصل إلى ترجيح تقريبي لبعض الاعلام المذكورين في الكتاب ، غير أنني لم أسرف في ذلك خوف الزلل والخطأ ، والتسبب – من ثَمَّ – في صدّ القارىء عن الهداية دون عمد . هذا كله بالنسبة لمن يحتاج إلى تعريف من الأعلام ، أما من كان منهم مشهوراً غنياً عن التعريف فلم أتوقف عنده ، أو توقفت عنده دون إطالة . ومهما يكن من أمر فقد حاولت ألا أعرف بالشخص الواحد إلا في المرة الأولى التي يرد له فيها ذكر في الكتاب ، وأرجو أن يكون التوفيق قد حالفني في ذلك ، فإنّ ترامي ما بين أول الكتاب وآخره قد يزلّ اللبيب ويُضل الحريص .

أما من ناحية الفهرسة فقد رأيت أن أجعل للكتاب بأجزائه التسعة فهرساً عاماً – هو الجزء العاشر منه – ، وفي نيّتي أن أصدّر هذا الجزء بدراسة شاملة عن كتاب البصائر ، وأتبعها بما تجمع لدي من المصادر من نقول عن البصائر لم ترد في النسخ المخطوطة المتوفرة عندي ، بالإضافة إلى ما قد يكون استجدّ لدي من استدراكات في تخريج الكتاب .

وقبل أن أختم هذا التقديم أود أن أتقدم بالشكر إلى مجموعة من الأصدقاء كان لهم فضل كبير علي في إنجاز هذا العمل ، وفي مقدمتهم يجيء أستاذنا الكريم الدكتور إحسان عبّاس . فإنه رافق هذا الكتاب في خطواته جميعها ورعاه مراعاته لكتبه نفسها ، وكان له الفضل في إمدادي بمخطوطات مكتبة الفاتح وجار الله وكوبريللي منه ، وفتح لي مكتبته العامرة أعمل فيها ، ووضع بين يدي نسخته الخاصة من البصائر ، لأفيد من ملاحظاته وتدقيقاته أو ترجيحاته التي قيّدها على هوامشها .

كذلك أتقدم بالشكر إلى الأستاذ مانفرد أولمان ، الأستاذ بجامعة توبنجن

بألمانيا الاتحادية ، إذ كان له الفضل في أن لفت نظري إلى تخريجات عدة وتصويبات في النشرة الأولى من الجزء السابع من البصائر ، وهداني إلى مخطوطة الأمبروزيانا من الكتاب ، ثم قام الصديق الأستاذ اسطفان ڤيلد ، الأستاذ في جامعة بون في ألمانيا الاتحادية أيضاً ، بتقديم ميكروفيلم من هذا المخطوط إليّ ، فله أيضاً شكري وتقديري . ولا أنسَ الأستاذين الكريمين إدمند بوزورث ومارتن هايندز ، فقد تفضلا بتزويدي بمصورتي مخطوطتي مانشستر وكمبردج على التوالي ، كما ولا يفوتني هنا أن أسجل شكري الخالص للصديق الدكتور رضوان السيد ، إذ وضع بتصرفي مجموعة من مصوّرات المخطوطات لديه .

إضافة إلى ذلك قامت الجامعة الأميركية في بيروت بتقديم منحة بحثٍ لي عبر لجنة البحث العلمي التابعة لكلية الآداب والعلوم بالجامعة ، فكان ذلك خير معين لي على تصوير المخطوطات المتعددة لهذا الكتاب ، وعلى الاستعانة بجهود بعض طلاب الدراسات العليا في قراءة التجارب الطباعية له ، ثم في فهرسته ، وأخص بالذكر منهم هنا الآنسة وداد سليم الحص ؛ فإلى الجامعة وإلى وداد عرفاني وامتناني العميقين .

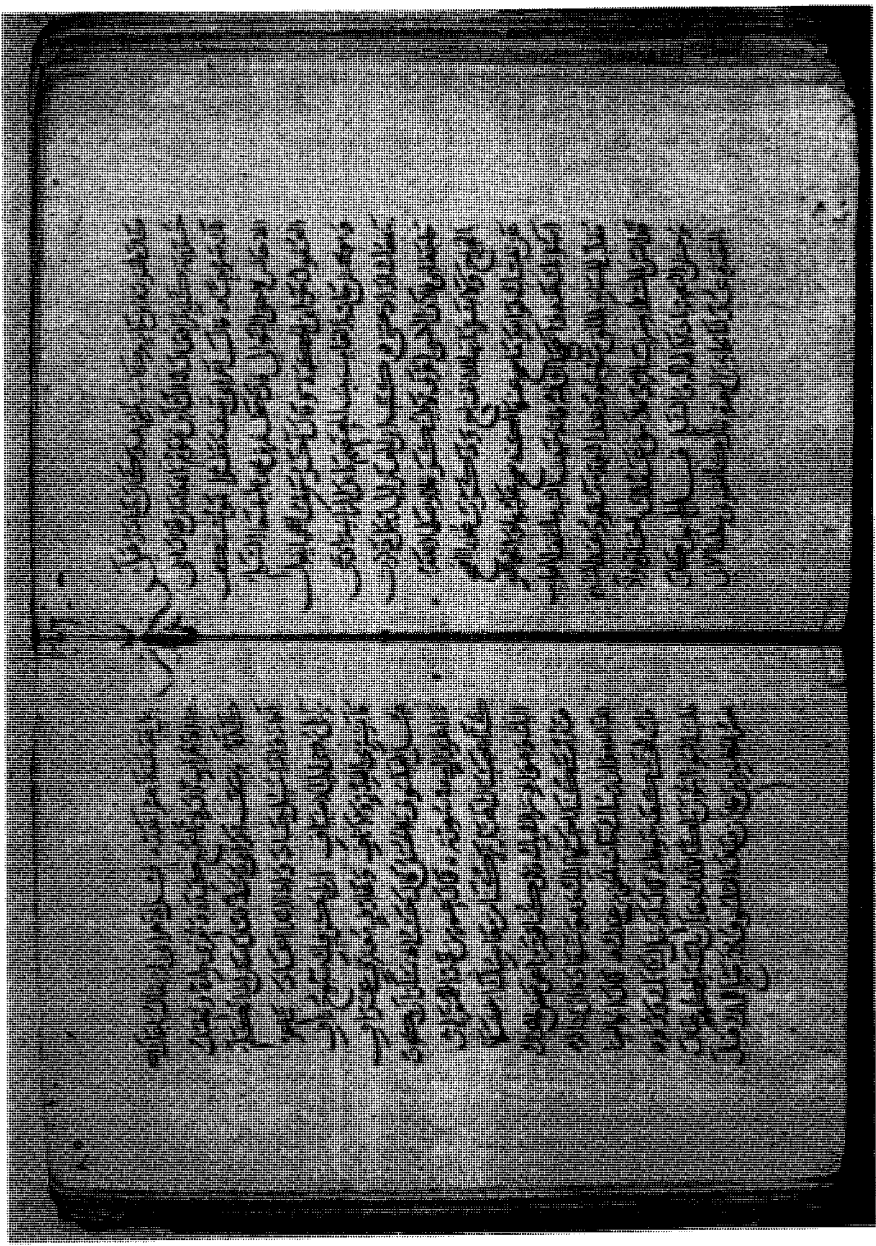
لقد بدأت طباعة هذا الكتاب في الوقت الذي كان فيه الصديق العزيز المرحوم انطون صادر ، شيخ ناشري لبنان ، على قيد الحياة ، يتحمّس للإنجاز الكبير رغم المحنة والمأساة في البلاد ، ويوصل ما فيه من حيوية ومحبة للعلم إلى من حوله . ولقد اختار الله أن يأخذ الأستاذ انطون صادر إلى جواره ، ففقدت حركة النشر في لبنان عميداً من عمدائها ، إلا أنها في الوقت نفسه ربحت شباباً متحمّسين للتراث ، مقتفين أثر والدهم العزيز وهم ، سليم صادر وإبراهيم ونبيل ، وإنني لأشهد أنهم كانوا كفاءً بالأمانة التي حُمِّلوها ، ولقد تَحَمَّلوها مختارين راضين ، فكان لكل ذلك أثره البالغ في إنجاز الكتاب على النحو الذي

جاء عليه . فإليهم أسجل تقديري وشكري واعترافي بما بذلوه من جهد بالغ في هذا المضمار . والله من قبل ومن بعد ولي التوفيق .

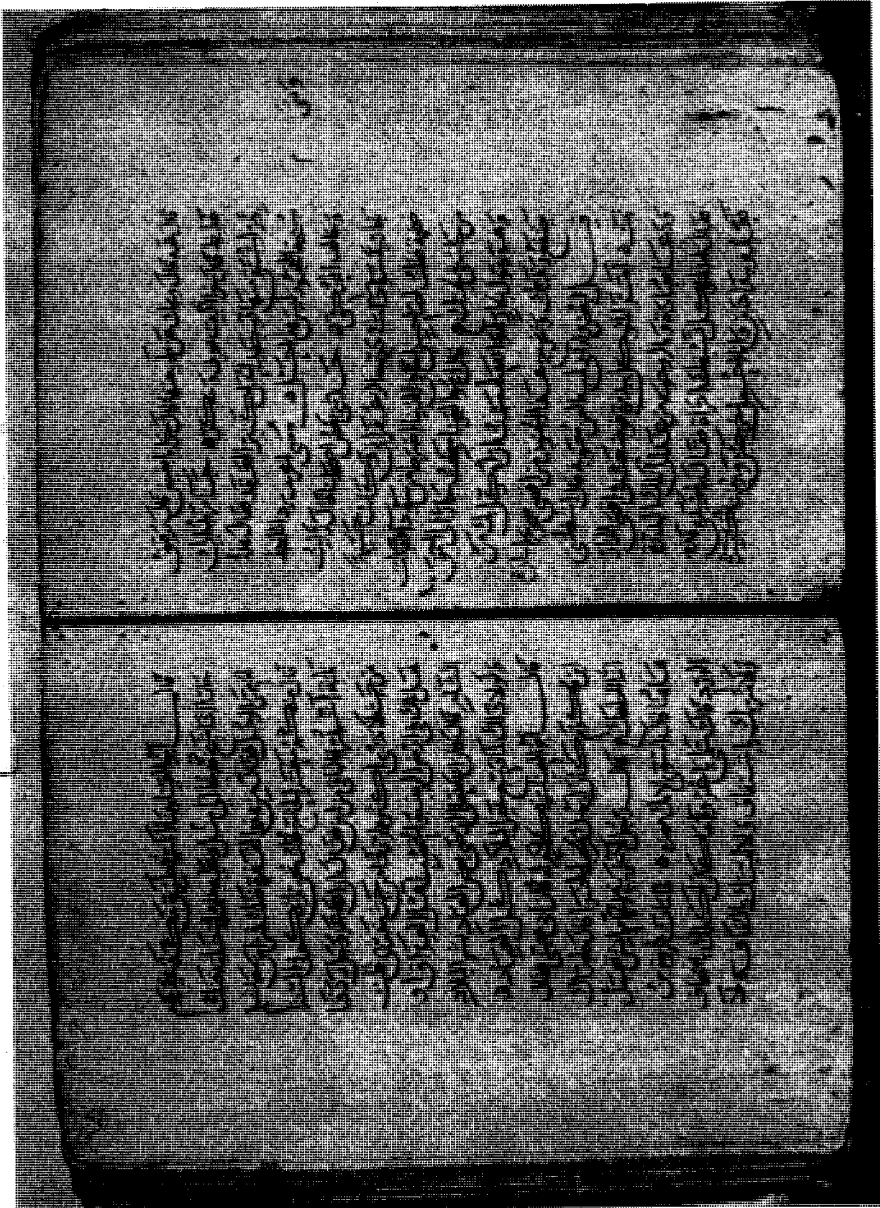
الجامعة الأميركية في بيروت

١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤

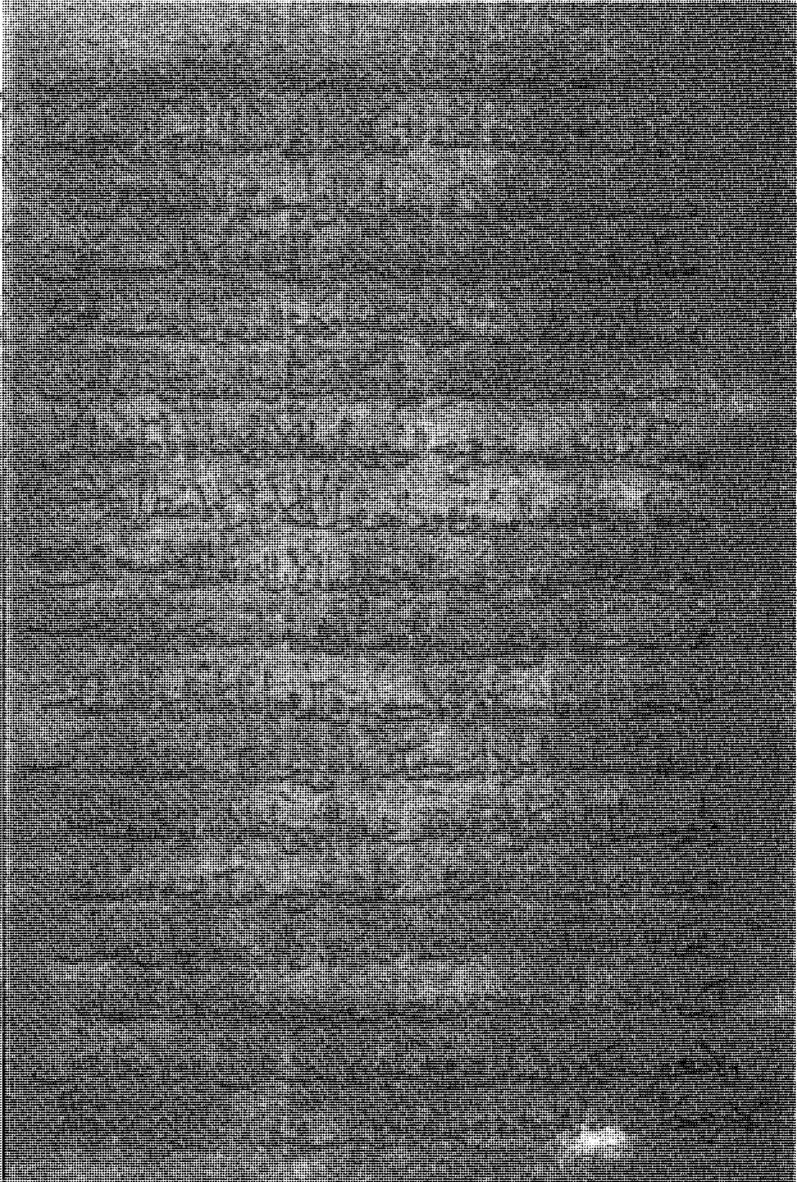
وداد القاضي



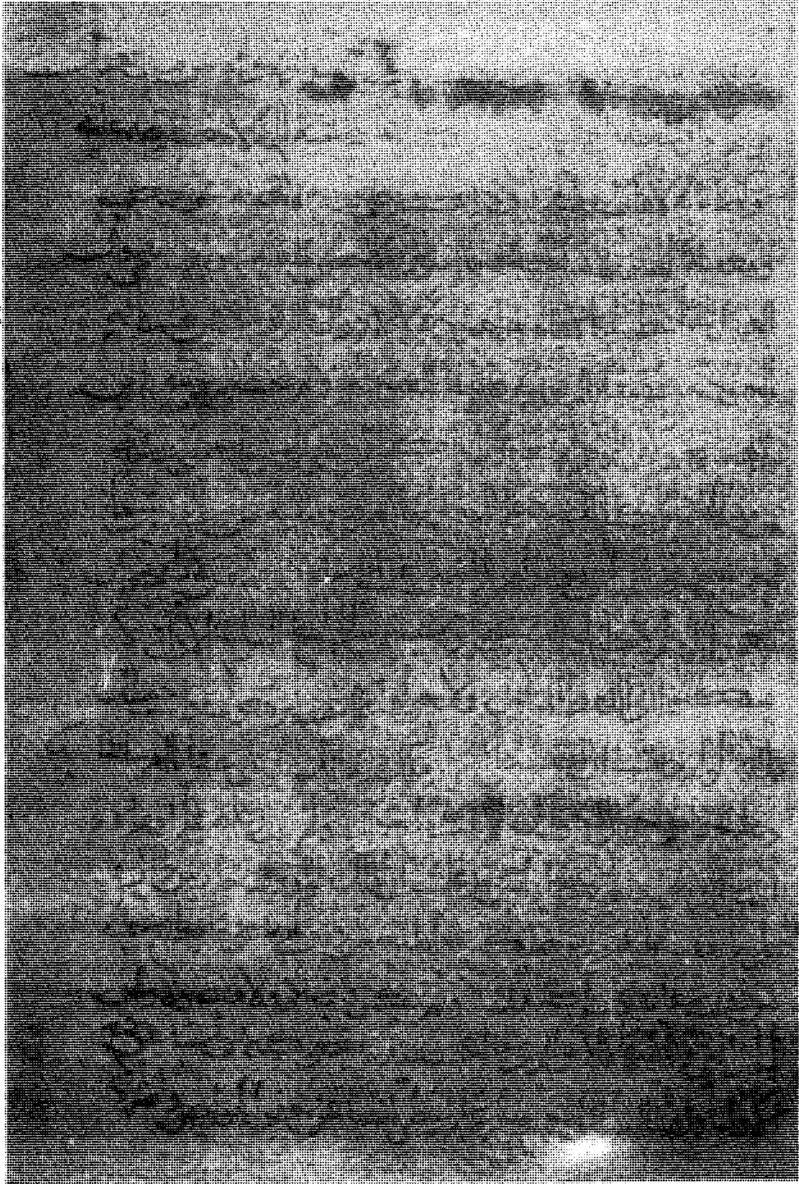
١ – نموذج من نسخة مكتبة كوبريللي



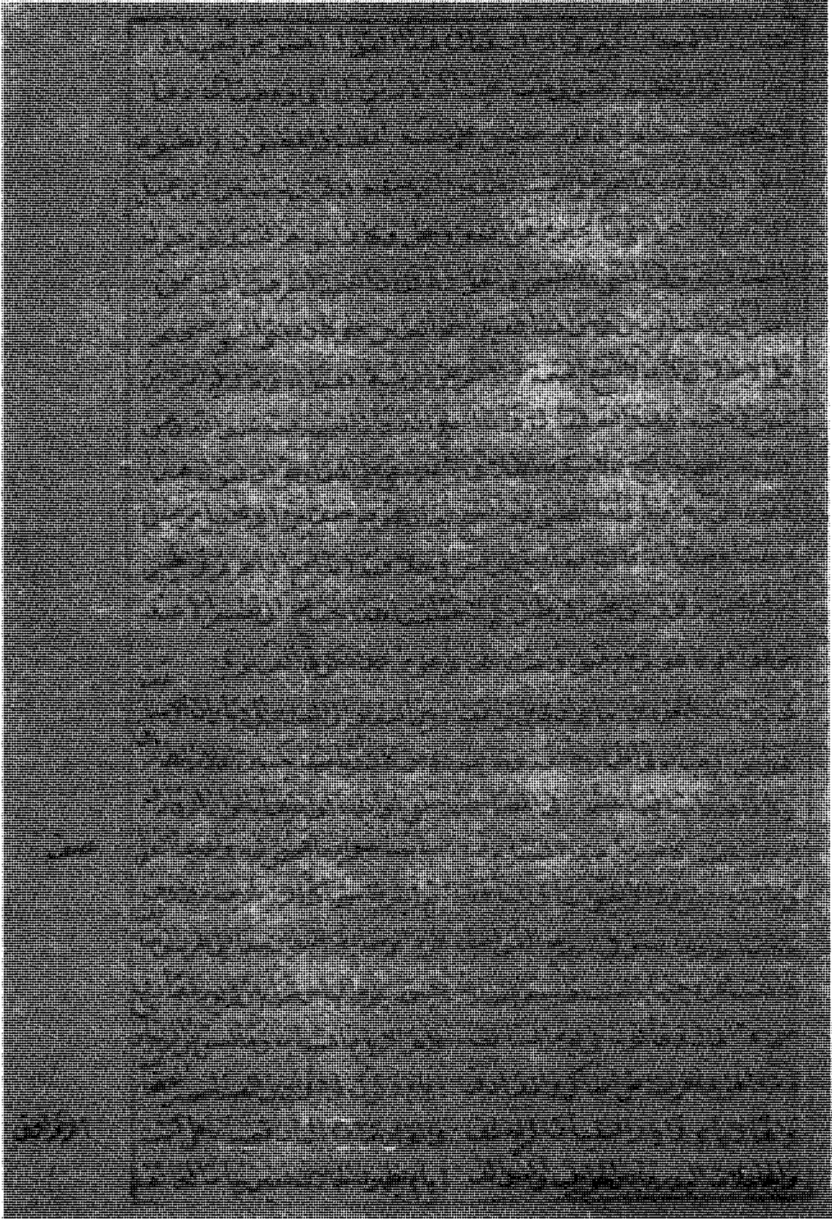
٢ - نموذج من نسخة مكتبة كوبريللي



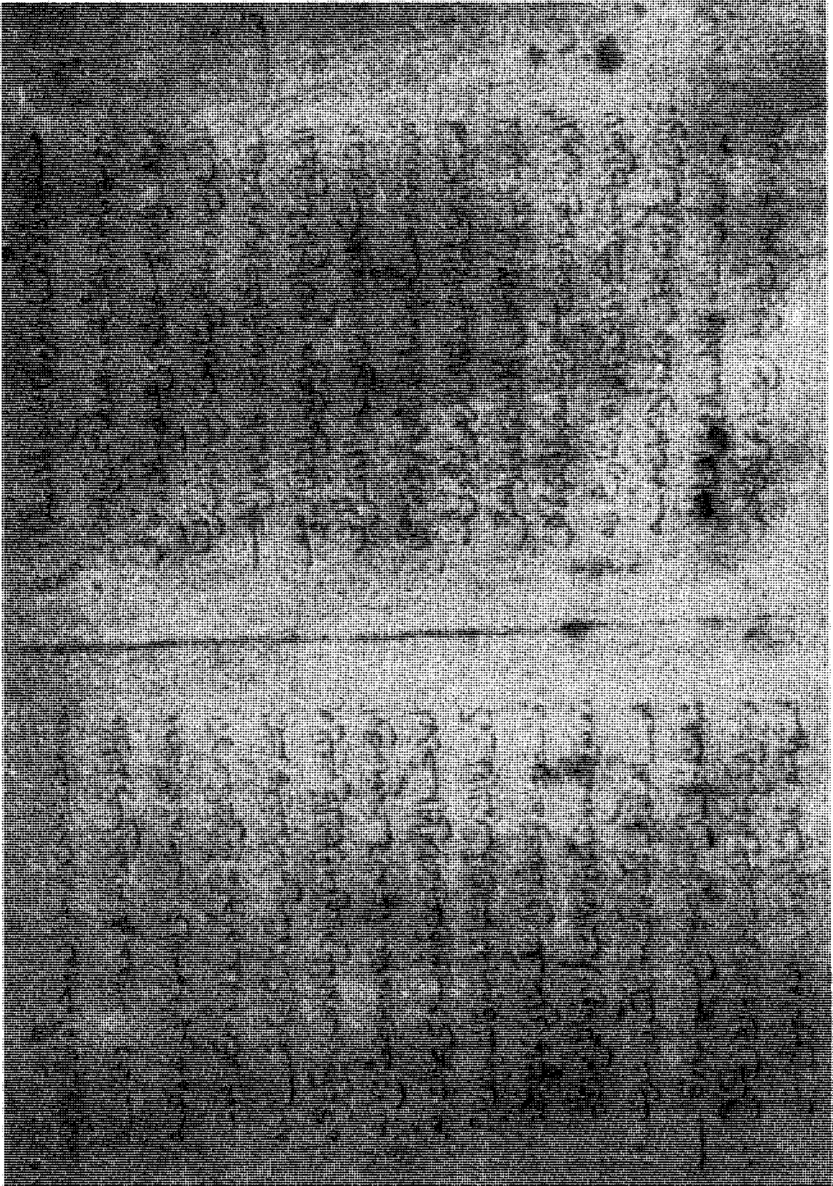
٣ - نموذج من نسخة الامبروزيانا في ميلانو



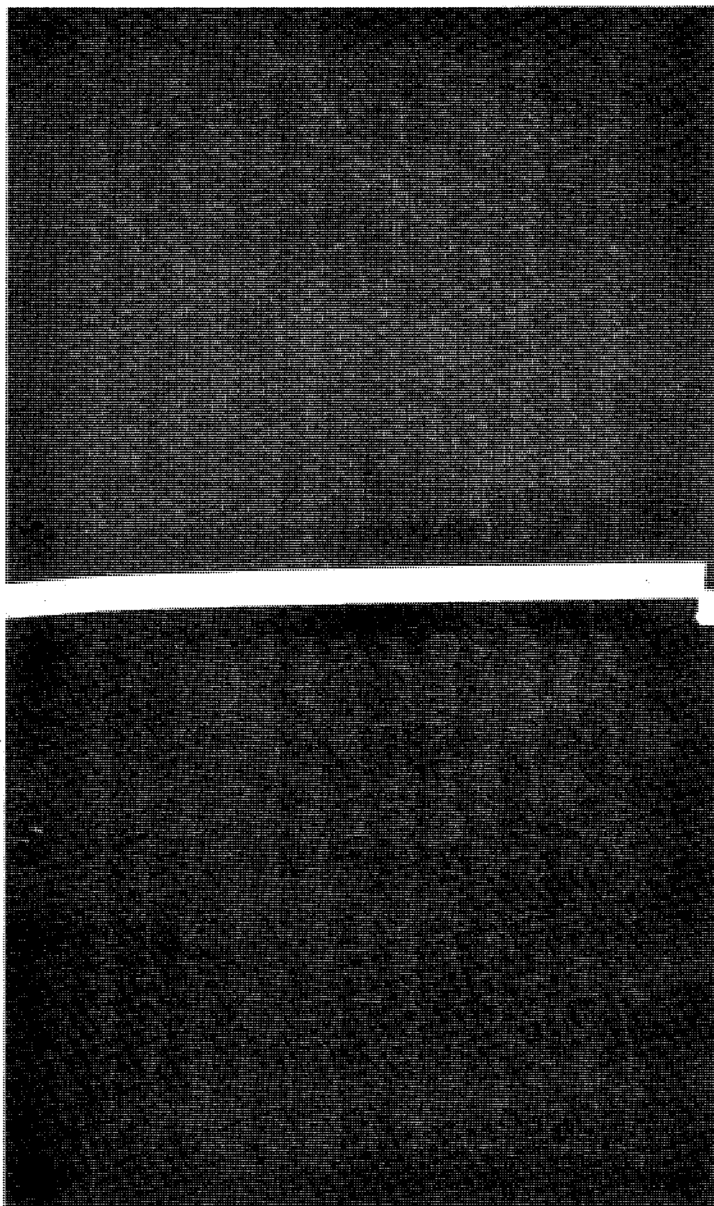
٤ - نموذج من نسخة الامبروزيانا في ميلانو



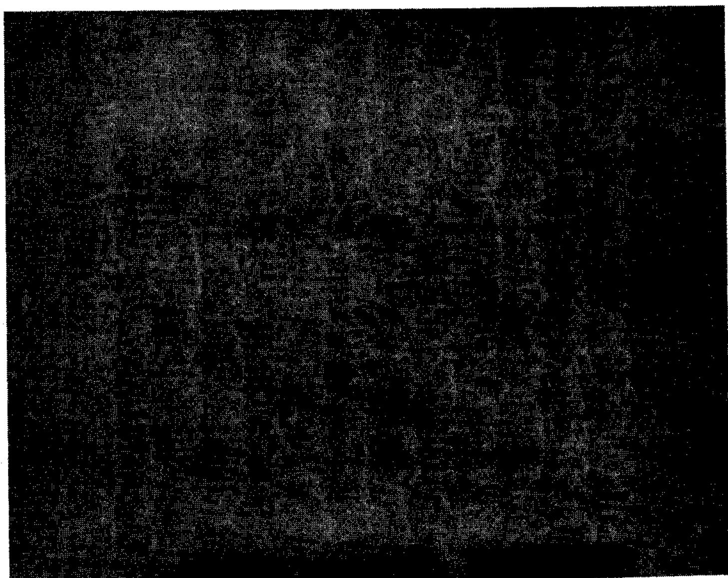
٥ - نموذج من نسخة مكتبة جامعة كيمبردج

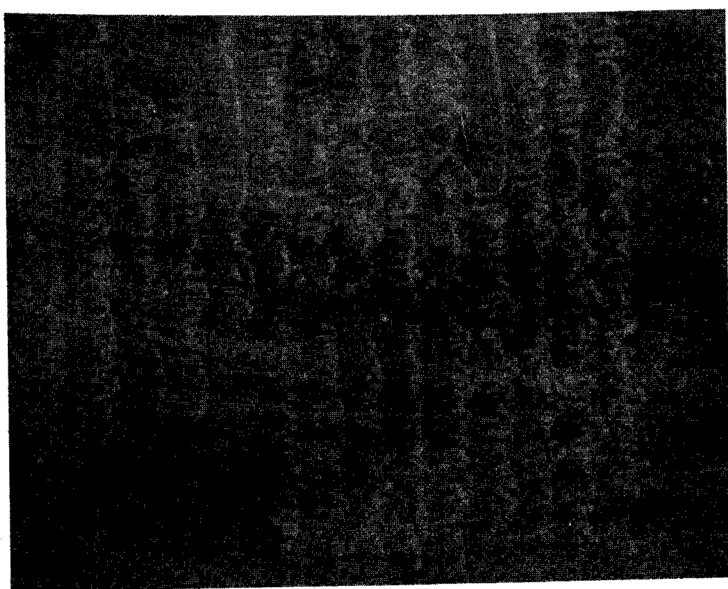


٦ – نموذج من نسخة مكتبة جار الله باستانبول



٧ – نموذج من نسخة مكتبة الفاتح باستانبول





٨- نموذج من نسخة مكتبة الفاتح باستانبول